

الحقوق الرومانية - ما فتى الإيطاليون يضعون الحقوق الرومانية موضع العمل وقد أخذوا في القرن الحادي عشر يدرسونها في إيطاليا درساً أصولياً في كتب يوستينيانوس فكان الأساتذة والطلبة يجتمعون في بولون وبلغ عددهم عشرة آلاف طالب واشتغلوا قرنين في تفسير كتب القوانين الرومانية والتعليق عليها سطرًا سطرًا وتآلف من شروحاتهم ذيل علق عليه علماء القانون في القرن الثالث عشر شروحات جديدة وكانت الولايات الجنوبية في فرنسا فقط (حتى ولاية أوفرن) تعمل بالقانون الروماني أما ولايات الشمال فتجري على العادة ويحكم مجلس النواب في باريز بموجب العادة. بيد أنه كان للقوانين الروماني الترجيح على العادة وذلك لأنها هي التي دونت وهي وحدهما تدرس في المدارس فكانت تسمى العدل أو الحق خلاف العادة بلا زيادة ولا نقص ويقضي القضاة والمحامون الذين يحملون شهادات الحقوق بضع سنين في دراستها بعضهم في بولون والآخر في أورليان أو مونبليه. وكان القانون الروماني في عدة مواد يحكم بخلاف العادة فتسبغ العلماء بهذا الحق وادخلوه بالتدرج حتى على غير معرفة منهم في العادة وبدأ إدماج القانون الروماني في القرن الثالث عشر إلى آخر القرن السادس عشر فتعدلت به العادات القديمة كل التعديل ولاسيما قد أضعف سلطة السادة والمديريات التي سكت عنها القانون الروماني وقوى سلطة الملك وحاكمه لأن المشرعين قد طبقوا على الملك كل ما كان يعطيه القانون للإمبراطور الروماني من الحقوق كما طبقوا على عماله كل ما يطبقه القانون الروماني لولاة الرومان وحاكمهم وفي القانون الروماني (إن ما يقضي به الأمير يكون قانوناً نافذاً) فأصبحت هذه الحكومة قاعدة الحكومة في فرنسا ثم في ألمانيا وكانت أساس السلطة المطلقة.

رحلة إلى المدينة المنورة

## البلقاء

على نحو مانتين وأربعين كيلومتراً من جنوبي دمشق بين هر الأردن غرباً وزملة العليا في طريق الحج شرقاً وهر الزرقا شمالاً ووادي الموجب جنوباً إقليم واسع خصيب سهلي جبلي اسمه البلقاء كوله من الشمال إلى الجنوب ١٨ ساعة للفارس نجد وعرضه من الغرب إلى الشرق ١٦ ساعة أو نحو مئة كيلومتر في مئة كيلومتر وهذا الإقليم الذي يبلغ بمساحته ربع جمهورية سويسرا هو اليوم جملة قضاء عمل السلط ما عدا مسيرة ساعتين من الجنوب داخله في عمل الكرك وقد حد القدماء إقليم البلقاء بأنه بين الشام ووادي القرى وقالوا أن فيه مدناً عظيمة كثيرة وأن قاعدته عمان وقيل أن السلط هي راموت جلعاد إحدى مدن اللجاء ومد اللاويين المذكورة في الكتاب المقدس وربما اشتق لسمها الحاضر الصلت أو السلط من لفظة لاتينية سالتوس ومعناها الجبال المشجرة وكانت فيما مضى مدينة أسقفية في العهد المسيحي وقد ذك المغول قلعنها ثم عاد بناءها الظاهر ببيرس البندقداري.

وموقع السلط على منحدر جبلين متناولين أشبه بمدينة زحلة في لبنان وكانت منذ ثلاثين سنة خالية من الحدائق والبساتين فتوفرت همه أهلها على استثمار الشجار والبقول فجاد أكثرها بما عندهم من العيون التي تروي زروع الوادي أما ما كان وراء المدينة من التلعات والآكام فقد كان حراجاً إلى عهد قريب وآثار بعض سنديانه وملوله ما برحت ماثلة للعيان ولكن القوم قطعوها واستعاضوا عنها بزراعة الكروم التي بعد عنها وزبيها أجماً ما تحمله هذه الشجرة المباركة في سورية وقد يكون العنقود الواحد رطلاً شامياً وأكثره بلا بزر يصدر من زبيبه ما تقدر قيمته كل سنة بنحو خمسة عشر ألف ليرة وفي جوار السلط قليل من شجر الزيتون سألنا أحد شيوخهم عن السبب الذي دعا إلى عدم استكثار القوم من غرسه فقال لا تذكرنا

بغاوتنا فقد حملنا سعيد باشا شمدین أحد متصرفی نابلس أيام كان قضاؤنا تابعاً لنابلس على أن نغرس في هذه الولاية التي تراها منة ألف زيتونة فوقع في نفسنا أن في الأمر دسيسة من الحكومة تريد بها وضع الضرائب الفاحشة على أملاكنا وتسجيل أراضينا على صورة لا نعود معها ملاكها الحقيقيين فصدعنا في الأمر في الظاهر وغرسنا أولفاً من شجر الزيتون ولكن أندري كيف تخلصنا منه بعد؟ كان أحدنا يجيء ليلاً إلى غرسة الزيتون فيحركها حتى لا يطلع جذعها وهكذا لم يبق من كل ما غرسه السلطيون إلا ما تشاهده اليوم في جوار القصة وقليل ما هو.

قلنا عجيب تبدل تصورات الناس فرجال الحكومة بالأمس كانوا يحملون الناس على زرع الأشجار وزيتون لهم اقتناء الأراضي للزراعة واليوم يطالب الأهليون في هذا القضاء وفي غيره الراضي الموات ليحوها ولا يعطون طلبتهم وكذلك الحال في كل مكان ثرلناد في طريق يثرب فإن الأهلين أحسوا بفوائد الأرض هكذا رأينا أهل الشراة من عمال الطفيلة ومعان وهكذا سمعنا شكوى أهل الكرك وتبوك ومدائن صالح أجمع على ذلك الطلب الحاضر والبادي ولكن لا حياة لمن تنادي في حين ورد في قانون الأراضي أن كل من يحمي أرضاً مواتاً تبعد عن القرى والديساكر مقدار ما يسمع الصوت فهي له فآين هذا القانون المسطور من عمل الحكومة اليوم.

قرانا وجوه المهنة والنشاط في وجود السلطين مسلميهم مسيحيهم وإن كانت القاعدة في سورية كلها أن يكون المسيحيون أكثر نشاطاً وتعلماً من إخوانهم في الوطنية. وبلددهم هذا ساعدته الطبيعة فساعدتها أهلها أيضاً ودخل في طور العمران ويوشك أن يعد في جملة العظيمات من المدائن والبلدات.

وسكان مدين السلط اليوم نحو ١٦ ألف نسمة يبلغ المسيحيون منهم على اختلاف الطوائف نحو أربعة آلاف ومعظمهم إلى اليوم يلبسون زياً كزي أهل حوران وهو

كوفية وعقان وعبادة وجرمة همراء وعادات القوم هنا أشبه بعادات البادية مع أهم حضر. وفي السلط قليل من الصناعة وتجارتها واسعة مع القبائل النازلة في البلقاء والرحالة في تلك الأرجاء وبين عمان على الخط الحجازي والسلط نحو خمسة وعشرين كيلومتراً جعل بعضه من جهة السلط طريقاً معبداً ومتى أكمل تسافر العربات والسيارات بين السلط والخط الحديدي في ساعتين وهي الآن أربع ساعات على الدواب وإذا تم اتصال السلط بالقدس بطريق معبدة تسير عليها المركبات أيضاً تعبر السلط عمراً مهماً وهي على بعد ٤٠ ميلاً إلى الشمال الشرقي من بيت المقدس و ٤٠ ميلاً إلى الجنوب الشرقي من نابلس ونحو ١٨ ميلاً شرقي الأردن.

ومن سوء حظ هذا القضاء أن معدن الفوسفات الذي نال امتيازاً بتعدينه من جبل السرو في منتصف الطريق بين عمان والسلط المهندس نظيف أفندي الخالدي المقدسي على أن ينشئ فرعاً بالخط الحديدي من السلط إلى عمان يتصل بالسكة الحجازية ومرفأ في حيفا - من سوء الحظ أن قد حسبوا فوجدوها لا تفي بها وارداته ولعل الحكومة تتساهل بعض الشيء في شروطها لتقوي عزيمة تلك الشركة على استثمار هذا المعدن من قضاء السلط فيتنى لها أو لشركة أخرى تعدين سائر المعادن التي حبتها بالفطرة.

على نحو ساعة من قصة السلط منظر من أجمل مناظر سورية ونعني به جبل يوشع الواقع على علو نحو ١٠٩٦ متراً عن سطح البحر وهو مشرف على جزء عظيم من فلسطين فينتد أمامك وادي الأردن كأنه بساط ذو ألوان كثيرة ومن خلال ذلك نهر الأردن كالحية بتلويه حتى يصل إلى البحر الميت أو بحيرة لوط. ومن النبي يوشع تشاهد جبل الزيتون في الشمال الغربي ويقابلك جبل عيبال وجزرهم ثم جبل الطور

وما يناوحه من الجبال المحيطة ببحيرة طبرية ومن بعيد جبل الشيخ وبه تنتهي هذه المنظر من الشمال.

ويقول العارفون من الإفرنج أن الاعتقاد بالنبي يوشع الذي يذبح له البدو ويتقربون إليه هو من التقاليد الإسرائيلية القديمة وإن بناؤ قبره يرد إلى زهاء ثلثمائة سنة. وليوشع مقام أيضاً في قضاء نابلس قرب قرية حارث وجبل يوشع في البلقاء أشبه يوشع به شي أي ذروة يوشع في قرية بكرز المطلة على بحر مرمرة وخليج القسطنطينية هذا منظره بحري وذاك منظره بري ومن غريب التقاليد أن البدوي يحلف بالله ولكنه لا يحلف بشعيب ومقام شعيب على ساعتين من السلط أيضاً.

كانت عمان قصة البلقاء فامحطت في أواخر القرن الماضي بما تواتر عليها من الزلازل وغارات البادية حتى جلا عنها بقايا سكانها الأصليين فأنزلت فيها الحكومة منذ ٣٤ سنة ستمائة أسرة من الجركس من عشائر مختلفة هاجروا إلى البلاد العثمانية من ولاية كوبان الروسية وأخذوا يردون غارات البادية واعتمدوا في عمراتها على مضائهم وشجاعتهم وبنو على أنقاض مدينة ضخمة قرية لهم وساعدتهم مياة نهر الزرقا فغرسوا الأشجار وأنشأوا الحدائق واتوا بطريقتهم المألوفة لهم في الزراعة ببلادهم وقد هلك منهم أناس كثير من الفتن والأمراض حتى توطدت أقدامهم واغتوا وأصبحت الحكومة بعد أن كانت تأخذ من عمان مئة ريال في السنة تقاضى نحو ثلاثة آلاف ليرة ولا تلبث أن تزيد بزيادة عمران عمان واتساع تجارتها على أيدي الناشطين من النابلسيين والدمشقيين ومعظم تجارة البلقاء في أيديهم اليوم.

نقول أنها كانت مدينة عظيمة والدليل على أن أنقاض دار تمثيلها كبيرة جداً تكفي لجلوس ثلاثة آلاف نسمة وفي مسرحها ٤٥ صفاً على شكل نصف دائرة وفيها آثار

قلعة مهمة ومعظم بيوتها بنيت بأحجار المدينة القديمة وكذلك قرية رأس عمان الحديثة الواقعة على قيد غلوة من عمان وسكانها جراكسة أيضاً.

لا جرم أن الجركس أدخلوا روحاً جديدة إلى هذا القضاء من التوفر على الزراعة والنشاط المستمر وأن الأهليين تعلموا منهم بعض الشيء إلا أن عمال الحكومة أساؤا الامتثال فسلبوا ما كان للأهليين من الأراضي والمزارع العامرة ليعطوها للمهاجرين الجركس والششن والتركمان كما فعلوا بعين صويلح وعيون الحمر فقد كانتا مسجلتين باسم أصحابهما فأعطتها الحكومة للمهاجرين وذلك لأنه كتب للجراكسة أن يتولى مأمورية الطابو في هذا القضاء ثلاثة منهم على الولاء فكانوا يساعدون إخوانهم وأبناء جلدتهم على سلب الأراضي منهم وتسجيلها باسم المهاجرين وعلى هذه الصورة أخذ المهاجرون الناعور ووادي السير والزرقا والرصفة وغيرها. صير الناس على هذا الجور زمناً حتى صحت عزيمة بعض عشيرة الخرشان والجبور على أن يزرعوا الموقر والعليا والنقيرة وهي على نحو ثلاث ساعات من شرقي معان يسير في أراضيها الراكب عشر ساعات كما أن بعض السلطيين يزرعون اليوم في سهل الكبد في الغور وهذا السهل جيد التربة جداً لا حجر فيه ولا مدر ولو أحببت الحكومة إحياء الموات حقيقةً لأوعزت للهلين أن يحجوا أراضي الموقر والعليا كلها فإن فيها زهاء ألف بئر معطلة تحيا بعناية قليلة.

وأعظم عشائر هذا القضاء بنو صخر وهم يتنقلون بين الغور في الشتاء وأراضي البلقاء العالية في الربيع وفي الصيف يتوفرون على حصاد الأراضي التي لهم في جهات الزبراء ومادبا وهما مديريتان تابعتان للسلط كما أن عمان مديرية تابعة لها أيضاً. ونفوس قضاء السلط اخمررة اليوم ٤٢ ألفاً ولو أحصي بنو حسن وبنو صخر والبادية لبلغ سكانها مئة ألف أو يزيدون ولو ارتفع فيه علم الأمن كما يجب وأعطيت

الأراضي الموات للأهلين وسجلت عليهم بحيث لا ينازعهم فيها منازع لأن أكثر المنازعات تثور على الأراضي لبلغ سكان هذا القضاء نصف مليون نسمة بعد عشر سنين.

وأهم العاديات التاريخية في هذا القضاء قصة مادبا فقد كانت كإحدى الحرب منذ نحو ثلاثين سنة فهاجر إليها جماعة من مسيحي الكرك أعطتهم الحكومة إياها خربة فعمرها فما هو إلا وجدوا فيها آثاراً مهمة مثل سوق طونه ١٤٠ متراً له عند على الجانبين وبيننا كانوا يحفرون في أنقاض الكنية لقيموا كنيسة جديدة عثروا سنة ٨٩٧ على قطعة من الفيفاء في الصحن فرفعوا عنها المعاول وأزالوا ما كان علماً عليها بتوالي الأيام من التراب والأحجار فإذا هو أثر عظيم من آثار القدماء هو مصور (خريطة) فلسطين وما فيها من المعاهد المقدسة والكنائس ولو سلمت كلها من معاول الذين حفروها لبلغ ثمنها المليونين والثلاثة من الليرات ولكن القطعة الصالحة الباقية منها تدل على تلك المدينة القديمة التي قمت بها مادبا قديماً منذ عهد الإسرائيليين إلى الموابيين إلى العرب النبطيين إلى المكابيين وكانت في عهد هؤلاء قلعة مهمة واستولى عليها هيركان ملك اليهود قبل المسيح وأصبحت على عهد الرومانيين جزءاً من بتر أو العربية الصخرية. وآثار الفيفاء كثيرة في هذه القرية رأينا بعضها في الدور الخاصة تلمع فتأخذ الأبصار أما أنقاض دورها ومعابدها وأحواض مياهها فحدث عنها ولا حرج وقد دخل أهلها في المدينة اليوم بفضل مدرستي الروس واللاتين اللتين أنشئتتا فيها وليس بين سكانها من المسلمين إلا بعض باعة والحراثين.

قال ابن خرداذبة أن ظاهر اللقاء كان كورة من كور دمشق كما أن جبل الغور وكورة مآب وكورة جبال وكورة الشراة وكورة عمدان كانت كل منها إقليمياً برأسه

قال الشاعر:

سلم على دمن أقوت بعمان ... واستنطق الربيع هل يرجع ببيان  
قال ياقوت أن مدينة جرش هي شرقي جبل السواد من أرض البلقاء وعرف السواد  
بأنها نواح قرب البلقاء سميت بذلك لسواد حجارها وفي أرض البلقاء عدة بلاد ورد  
لها ذكر في التاريخ العربي مثل قرية جدابة التي ينسب إليها الجادي وهو الزعفران  
وقرية مؤنة من المشارف التي كانت بما تطبع السيوف المشرفية والموقر الذي كان  
يزله يزيد بن عبد الملك قال كثير:

سقى الله حياً بالموقر دارهم ... إلى قسطل البلقاء ذات المحارب

والقسطل نزله الوليد بن يزيد وهو قرب البلقاء وخلفه فيه عمه العباس وكان الوليد  
يستوطن الزبياء. وفي البلقاء قصر الأزرق والفدين قريب من حصن الزرق وهذين  
قبل أنهما من عمل حوران ومعظم الراويات على أنه من عمل البلقاء.

#### العمران والسكة نازية

إن كان لدور الاستبداد حسنة فأعظم حسناته سكة حديد الحجاز التي مدت في عهد  
المخلوع وبترين قريبه أحمد عزت باشا العابد ولتتهي منها حتى الآن القسم الأعظم  
من دمشق إلى المدينة النورة وطوله ١٣٠٣ كيلومترات ومن حيفا إلى درعا ١٦١  
كيلومتراً فانفق عليها فيما بلغنا ثلاثة ملايين ليرة ونصف صرف قسم مهم منها فقي  
مدينة دمشق فانتفع منه المتزعمون والتجار والزراع والعملية وبعض أرباب الصناعات  
والفنون وأنفق القسم الأعظم في ثمن أدوات وقطارات ومركبات حديد من معامل  
أوربا.

وما كاد ينتهي الخط إلى المدينة حتى فضت البلاد بعض الشيء ولا سيما دمشق  
والمدينة وحيفا ففضة اقتصادية لا يستهان بها وحسن حال التاجر والمزارع وسارت  
الأمور الاقتصادية على نسق مرتب معقول فلم يعد في التجارة ذاك الكساد الذي

نعهدده في دمشق ولا التفهقر الذي كان في حيفا ولا الغلاء الفاحش في أسعار المدينة وهكذا انتفع المحطات على طول الخط من دمشق إلى المدينة وعددها ٧٥ محطة ومحطات حيفا ودرعا وعددها ١٥ فأخذت كل محطة بقدر حظها من العمران وانتفع منها في الأكثر ما كان له أثر قديم في الارتقاء.

ولو كانت الحكومة تلتفت بعض الالتفات لعمران البلدان لأخذت بأيدي كل من يودون إنشاء بيوت ودكاكين وخانات وفنادق في المحطات وأعطتهم منات الدونمات يجعلونها حدائق وينون عليها مساكن على شرط أن يعسروها في مدة تعينها لهم وإذا أمكن أن تمنح بعض محاوريجهم إعانة مالية قليلة يستعينون بها على العسير فكيف لا ندهش والحالة هذه إذ رأيناها ورأينا عمالها يوقفون من ينون المساكن في مثل مدائن صاخ وعددها لا يقل عن خمسين محلاً بدعوى أنه لا يسوغ إنشاء مدينة إلا بإرادة سنية فهلا استصدرت الإيرادات السنيات في الحث على مثل هذه المشروعات التي لا يتصور أنفع منها في البلاد.

هكذا فعلت الحكومة مع من يريدون إقامة الدور والحوانيت ولم تقصر في وضع العقبات في سبيل من يريد غرس أشجار البرتقال لأنه ثبت أنها تجود في تربة هذه البلدة الرملية. وليت الإدارة تحمل الحكومة على ترغيب الناس في إنشاء الدور والحدائق لما في ذلك من الفوائد لعائلها إذ يستفنون بأسراهم عن صرف أوقات الفراغ في المقامرة ومعاقرة الحمر ويقل عدد من يتعاطونها منهم.

نعم إن المحطات مالاً يبت فيه كل شيء بحسب الظاهر ولا تظفره السماء إلا ساعات غير معلومة في السنة ولا سيما بعد ارض البلقاء وهواءها جاف حار محرق وعمراتها متوقف على عمل كثير طويل ومال غزير ليس بقليل فأمثال هذه المحطات تترك الآن وينشط كل من يود اعمار الأراضي الموات قرب المحطات وإنشاء دور وحوانيت

فيها ولو فعلت الحكومة لاستغنت مع الزمن من حراسة هذا الخط بكتائب من الجنود ترابط على طول السكة واقامة اثني عشرة قلعة من الهدية إلى المدينة وهي اليوم تجعل في كل قطار يسافر بعد لواء حوران إلى المدينة جملة من الجند النظامي المسلح لحماية الركاب من عيث البادية إذا حدث حادث لا قدر الله.

نقول عيث البادية ولو أعملت الحكومة الفكر منذ اليوم الذي نوت فيه تديد هذا الخط الحربي الديني التجاري لأوسعت لهم من تلك السهول الخصبة في لواء الكرك ما كانوا الآن استخروا بزراعته عن شن الغارات وإيذاء السابلة طمعاً في اقتناص ما يتلغون به ولتوفروا على تربية مواشيهم وزروعهم كما يتوفر اليوم بنو حسن في قضاء عجلون وبنو صخر في قضاء السلط والحويطات في معان والمجالي في الضصور والطراونة في الكرك وغيرهم في غيرها وكل هؤلاء من العرب الرحل يتأنسون بقدر ما يدخل النور على أولادهم ويستثمرون أرباح الزراعة والماشية ولاشك أنهم يعدلون بنة عن الغرة كلما أسكت الأصقاع التي في جوارهم وخف الاعتداء عليهم.

ولسكة الحجاز الفضل الأكبر في تأنيس شارد البدو إذ عرفوا بأن قوة الدولة مهمة في كبح جماح كل معتد. وقد أخذت تصدر حاصلاتهم إلى الأسواق التجارية الكبرى فكانت الجنوب تكسد في بعض السنين الماضية في جهات لواء الكرك وحوران فأصبحت اليوم تسافر إلى القاصية. وأبواب الشام والحجاز والبحر مفتحة أمامها. وهكذا يقال في السمون والجبن والألبان والأصواف التي تحصل من نياقهم ومعزاهم وأغنامهم وأبقارهم.

في لواء الكرك وحده أرض موات تكفي لإعالة كل أهل البادية من العرب خصوصاً وهم الموصوفون بذلك فطرقهم ومضاه عزائهم فإذا توفرت لهم الأسباب تحصل الفائدة الاقتصادية والعمرانية المطلوبة من السكة الحجازية فعمل هذه في نقل الأنفس

والأموال والمتاجر السنة كلها لا كما هي اليوم تشغل أشهراً معدودة من السنة في موسم الحج ثم تبلى بالفطور إلا قليلاً. وأن من عرف أن هذا الخط قد عمر بالإعانات التي جمعت من أقطار العالم الإسلامي وهممة ضباط العثمانيين وكتاب جنودنا وإن مئات هلكوا في سيل إنشاءه بحيث لم يكن يند الكيلومتر الواحد إلا على أشلاء بضعة من رجالنا يوافق على تساهل إدارة السكة مع الضباط والجنود والخط خط عسكري.

ولقد لاحظنا أن القطار الحجازي يقطع المسافة اليوم بين دمشق والمدينة في ثلاثة أيام بلياليها يقف منها في المحطات الكبرى مثل درعا ومعان وتبوك والمدائن نحو اثني عشرة ساعة دغ عنك الوقت الذي يصرفه في المحطات الصغرى ون معدل سيره على عشرين كيلومتراً في الساعة فلو تدبرت الإدارة في اختصار هذه المدة في الوقوف وحملت فاطرتها على الإسراع قليلاً في سيرها وسراها لجاز القطار المسافة بيد دمشق والمدينة وبين حيفا والمدينة في يومين وليلتين فتوفر على الناس بعض عناء السفر وإذا رأَت الإدارة أنه مما يلائم مصلحتها الاقتصادية تنزيل أسعار الركوب في الدرجة الأولى والثالثة وأرجة الركوب في الثالثة من دمشق إلى المدينة أربع ليرات وفي الدرجة الأولى ثمان ليرات فأسقطت منها على الأقل ثلاثين في المئة استفادت فيما لحسب أكثر وكثر الداهبون والجاهلون وعظمت الفوائد من ذلك فعندها تقصد المدينة أكثر من الآن للزيارة والتجارة ويقصد الحجازيون بلاد الشام ليصطافوا أو يتجروا.

وليت الحكومة تساهل في الاعتماد على أبناء البلاد وتختار الجند الذين يحرسون الخط من أبناء حوران مثلاً فهم أقدر على تحمل المشاق من ابن مدن آسيا الصغرى وسورية ومقدونية ونظنها في التجربة التي جربته في الطابور الذي ألفته من الشروق بالأجرة وسمته هجين سوار أي فرسان المهجين والشروق هم سكان شرقي المدينة أي نجد قد

ثبت لها أن ابن هذه البلاد أنفع من خدمتها إذا شبع من ابن البلاد القاصية والفارس النجدي اليوم يتناول ٤٥٠ قرشاً صحيحاً في الشهر هو وهجينه وما الجندي يكلف الحكومة أقل من ذلك فضلاً عن تعرضه للهلاك من هواء بادية العرب وكذلك يقال لإدارة السكة أن تختار عمالها من العارفين لغة البلاد قبل أن يعرفوا التركية لأن في ذلك فوائد مهمة للخط نفسه وإذا كان لا بد من الاستكثار من أبناء آسيا الصغرى وغيرها في جملة عمالها فما عليها إلا أن تشترط عليهم تعلم العربية وبذلك تتضاعف خدمتها للإدارة وللبلاد معاً على أن ابن العراق والجزيرة والحجاز أقدر في كل حال على تولي أعمال هذه السكة خصوصاً في النصف الأخير منها من جهة المدينة.

وقد لاحظنا على إدارة السكة إهمال عمالها للنظافة في المركبات ولاسيما في الدرجة الأولى بحيث أنها لا تزيد الراكب فيها راحة إلا بكون مقاعدها مفروشة بالمخمل (القطيفة) وهي أضيق من مقاعد الدرجة الثالثة ولا يخفى على أمر القائمين بأمر السكة الحجازية أن التدخين محظور في القطار في الدرجات الثلاث بأوروبا دغ تعاطي المسكرات وأنه ليسوءنا ما رأيناه من أن بعض موظفي الحكومة الذين كانوا آتين من المدينة المنورة يسطون في مركبات الدرجة الأولى سفرة الشراب ويتعاطونه مع النقول اللازمة له والأغاني التي يطربون بها كأنهم في حانة أو بيت خاص من غير نكير يزدون بذلك جلساتهم وهم يكونون بعملهم أعظم عار على المسلمين والإسلام.

فليت إدارة الشركة تحظر الشراب في القطارات والمخطات على ركاها وعمالها مباشرة وتغرم من يجراً على خرق حرمة شريعة الإسلام وقانون المدينة الحديثة غرامة ثقيلة تربي كل مقترف لهذه الكبيرة فإن كان من عمال الحكومة الأمن عصم الله من يفسدون أخلاق الرعية بما يعودونهم إياه من احتساء كؤوس الراح في المديرية

والأفضية والألوية والولايات فما أحرى الحكومة أن تكف مفايدهم على الأقل عن قصاد البلد الطيب رحمة بالإنسانية والإسلام.

### بعض أعمال الكرك

قال عرس الدين الظاهري وأما المملكة الكركية فليست هي من الشام وهي مملكة بمفردها وتسمى مآب وهي مدينة حصينة معقل من معاقل الإسلام بما قلعة ليس لها نظير في الإسلام ولا في الكفر تسمى حصن الغراب لم تكن فتحت عنوة قط وإنما فتحها المرحوم صلاح الدين يوسف بن أيوب بعد أن فتح القدس في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وكانت بيد البرنس أرنلط وكان يعرض إلى حجاج بيت الله الحرام.

وقال أن الشوبك كانت مدة بيد الإفرنج وهي مضافة إلى الكرك وحصينة أيضاً ومسيرة معاملة الكرك من العلى إلى زيزة مقدار عشرين يوماً بسير الإبل وهي بلاد عديدة بما قرى كثيرة والمعاملات والمسلك إليها صعب من مقطعات قليلة الماء حتى أنه إذا وقف أحد على درب من دروبها يمنع مائة فارس اهـ.

بلدان في لواء الكرك طالما سمعنا بهما وهما قصة الكرك وقصة السلط فالأولى كنا نتوهمها أهم مما رأيناها والثانية رأيناها أهم مما سمعنا به من وصفها وهذا من جملة الأسباب التي تدور أهالي البلقاء أن يطلبوا إلى الحكومة جعل السلط في التقسيمات الإدارية مركز لواء بضم أراضى بنى حسن من قضاء عجلون وعمل حوران إليه وجعل مادبا قضاء وعمان قضاء والزيزاء قضاء وبذلك توفر على أهل القاصية من لواء الكرك العناية الشديد الذي يلاقونه بشد الرحال إلى حاضرة اللواء كلما عرض لهم عمل فقد بلغني أن أكثر الناس يتكفون من أداء الشهادة إذا طلبوا إليها من السلط إلى الكرك مثلاً وينكرونها ويتحملون الإثم في ذلك لأن الشاهد يتحيل عليه